السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الْحَلَقَةُ ١٤

حَدِيثُ الْإِفْكِ

غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَبَرَاءَةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ



Hj Che Alim Hj Che Haron
AK (Kelantan)
quranscience.my

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ Hj Che Alim Hj Che Haron AK (Kelantan) • @QuranScienceMY • quranscience.my
هذا الكتاب الإلكتروني مجاني للمسلمين — يمنع بيعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الْحَلْقَةُ ١٤

حَدِيثُ الْإِفْكِ

غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَبَرَاءَةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ

لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ

سورة النور (٢٤): ١٢

HJ CHE ALIM HJ CHE HARON

quranscience.my | @QuranScienceMY

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ quranscience.my — كتاب إلكتروني مجاني. يُمنع بيعه.

شكر وإهداء

الحمد لله الذي برّأ أَمَتَه الطاهرة من فوق سبع سماوات، وعلّمنا حفظ اللسان. والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أُهدي هذا الكتاب خاصّةً إلى زوجتي الحبيبة،

زهرة محمد لطيف؛

وإلى أبنائي وبناتي الأحبّة،

محمد حافظ، نور هزواني، عبد الحكيم، نور هداية، نور عاقلة ونور عتيقة؛

وإلى أصهاري وكنّاتي،

فضيلة، مالك، حنين، فيريزال وفيروان.

تروي هذه الحلقة الرابعة عشرة من «السيرة النبوية» غزوةَ بني المصطلق وحديثَ الإفك: عِقدًا ضاع، وفريةً انتشرت، وشهرًا من الحزن في بيت رسول الله ﷺ، وآيات من سورة النور برّأت عائشة. أسأل الله أن يجعل هذا العلم عِلْمًا يُنْتَفَعُ بِهِ.

عن غلاف هذا الكتاب

لا يصوّر غلافُ هذا الكتاب أيَّ إنسانٍ أو حيوان، بل يعرض **واديًا صحراويًّا فسيحًا ساكنًا** عند **الفجر**، تقوم فيه **شجرةُ سَمُرٍ** وحيدةً على الرمل. وفي سماءٍ **ورديّةٍ بنفسجيّةٍ هادئة** لا يزال يلمع **نجمُ الصباح**، **وآثارُ مسيرٍ** باهتةٌ على الرمل تختفي نحو التلال البعيدة.

يذكّر الوادي الساكن والأثر المختفي بلحظة رجوع عائشة رضى الله عنها إلى المعسكر فوجدت الركب قد ارتحل، فجلست تنتظر في مكانها (صحيح البخاري ٤١٤١). والشجرة القائمة وحدها رمزٌ لصبرها — «الصبر الجميل» — حين نزلت الفتنة. ونور الفجر ونجم الصباح رمزٌ للحقّ الذي أشرق أخيرًا حين أنزل الله آيات سورة النور.

الشريط الأزرق الداكن في الأسفل، المؤطَّر ب**خطوطٍ ذهبيةٍ رفيعة**، هو موضع اسم المؤلف.

المحتويات

حديث الإفك — مقدّمة
١. بنو المصطلق وماء المُرَيْسِيع — صحيح البخاري ٢٥٤١
٢. متى وقعت هذه الحادثة؟ — صحيح البخاري، كتب السيرة
٣. جويرية: العروس التي أعتقت قومها — سنن أبي داود ٣٩٣١
٤. دعوى الجاهلية عند الماء — جامع الترمذي ٣٣١٥
٥. زيد بن أرقم يصدّقه الله — صحيح البخاري ٤٩٠٠
٦. العِقد الضائع — صحيح البخاري ٤١٤١
٧. وحيدةً في الصحراء — صحيح البخاري ٤١٤١
٨. الفرية تبدأ بالانتشار — النور ٢٤: ١١
٩. شهر من المرض — صحيح البخاري ٤١٤١
١٠. الخبر يبلغ عائشة — صحيح البخاري ٤١٤٣
١١. رسول الله ﷺ يستشير — صحيح البخاري ٧٣٧٠
١٢. توتّر في المسجد — صحيح البخاري ٤١٤١
١٣. «فصبر جميل» — يوسف ١٢: ١٨
١٤. نزول الوحي: براءةٌ من السماء — النور ٢٤: ١١
١٥. حسن الظن وأربعة شهداء — النور ٢٤: ١٢–١٣
١٦. ألسنةٌ تتلقّى الخبر — النور ٢٤: ١٥–١٦
١٧. حدّ القذف — النور ٢٤: ٤؛ سنن أبي داود ٤٤٧٤
١٨. أبو بكر ومِسْطَح: العفو — النور ٢٤: ٢٢
١٩. حسّان بن ثابت وعائشة — صحيح البخاري ٤١٤٦
٢٠. العِقد الثاني وآية التيمّم — صحيح البخاري ٣٣٤
٢١. فضل عائشة — صحيح البخاري ٣٧٦٨، ٤٧٥٣
٢٢. اللسان في زمن وسائل التواصل — صحيح البخاري ٦٤٧٨؛ الحجرات ٤٩: ٦
٢٣. مصادر قصص الإفك — شكل؛ جدول
٢٤. آيات البراءة: النور ٢٤: ١١–٢٦ — جدول؛ صحيح البخاري ٢٧٦٦
٢٥. سورة النور: حصن أعراض المجتمع — النور ٢٤: ٢٧–٣١؛ صحيح البخاري ٦٢٤١، ٦٢٤٥
٢٦. رجال حديث الإفك ونساؤه — جدول؛ صحيح البخاري ٤١٤١
٢٧. عائشة بعد الابتلاء: معلّمة الأمّة — صحيح البخاري ٣٧٧٢، ٣٧٧٥؛ جامع الترمذي ٣٨٨٣
٢٨. الخطّ الزمني لحديث الإفك — جدول
٢٩. أسئلة شائعة عن حديث الإفك — ١٢ سؤالًا
٣٠. العبر والخاتمة
المراجع

الدعم والتبرّع

دليل الألوان: الإطار الأخضر = آية من القرآن الكريم؛ الإطار الذهبي = حديث؛ الإطار البنّي = من كتب السيرة؛ الجدول الأزرق = مقارنة. أسماء الرواة المسطّرة بالأزرق روابط إلى صفحاتهم في موقع sunnah.com.

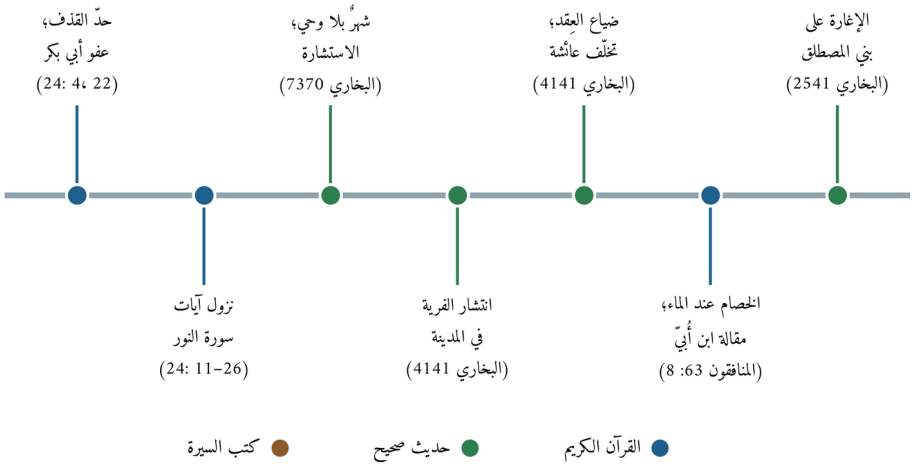
حديث الإفك

روت الحلقات الماضية حروبًا بالسيف والسهم. أمّا الحلقة الرابعة عشرة من «السيرة النبوية» فتروي حربًا أخرى — حربًا سلاحُها **اللسان**. بدأت بعِقدٍ ضاع في الصحراء، وانتهت بـ**عشر آياتٍ من سورة النور** تُتلى إلى يوم القيامة.

تُعرف هذه الحادثة بـ**الإفك** — أي «الكذب العظيم». فبعد غزوة **بني المصطلق** أشاع المنافقون فريةً كاذبة على **عائشة** رضى الله عنها، زوج رسول الله ﷺ. وظلّ بيت رسول الله ﷺ شهرًا كاملًا يغشاه الحزن، حتى أنزل الله براءة عائشة من فوق سبع سماوات.

روت عائشة هذه القصّة بنفسها في واحدٍ من أطول الأحاديث في صحيح البخاري (صحيح البخاري ٤١٤١). ويتتبّع هذا الكتاب تلك الرواية خطوةً خطوة، ويختمها بعبرةٍ تشتدّ إليها الحاجة في زمن **وسائل التواصل الاجتماعي**: كيف نحفظ ألسنتنا من الفتنة.

الخطّ الزمني لغزوة بني المصطلق وحديث الإفك



التاريخ مختلفٌ فيه: شعبان 5هـ (ابن سعد، الواقدي)، أو 4هـ (موسى بن عقبة)، أو 6هـ (ابن إسحاق) — انظر الباب 2.

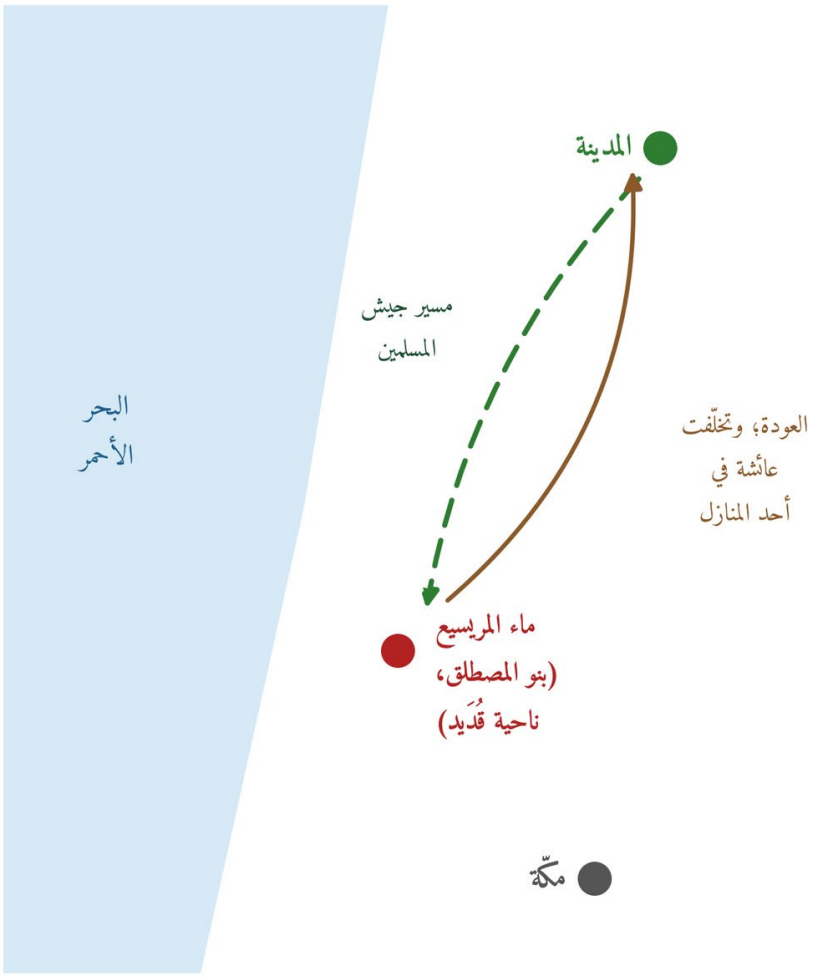
الشكل ١: الخطّ الزمني لغزوة بني المصطلق وحديث الإفك.

ملاحظة: الآيات القرآنية في هذا الكتاب بالنصّ العربي مع روابطها. وتُذكر درجة كلّ حديث في إطاره. وما ورد في كتب السيرة وُضع في الإطار البنّي «من كتب السيرة»، وأُرفقت الوقائع التاريخية بروابط مصادرها.

بنو المصطلق وماء المُرَيْسِيع

بنو المصطلق بطنٌ من قبيلة **خُزاعة**، كانوا يسكنون الساحل بين مكّة والمدينة. ويُعرف ماؤهم بـ**المُرَيْسِيع**، ولذلك تُسمّى هذه الغزوة أيضًا **غزوة المريسيع**. وتذكر كتب السيرة أنّ سيّدهم **الحارث بن أبي ضِرار** كان يجمع الجموع لغزو المدينة.

موقع المريسيع (رسم تخطيطي)



رسمٌ تخطيطيّ حُسب. المريسيع ماءٌ لبني المصطلق من خزاعة، بالساحل بين مكّة والمدينة.

الشكل ٢: موقع المريسيع بين مكّة والمدينة (رسم تخطيطي).

فسار رسول الله ﷺ إليهم قبل أن يتمكّنوا من الهجوم. ويحكي عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، وكان ممّن شهد تلك الغزوة:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٢٥٤١

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عَوْنٍ، قَالَ كَتَبْتُ إِلَى نَافِعٍ فَكَتَبَ إِلَيَّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَغَارَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ. حَدَّثَنِي بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ.

السند رواه الإمام البخاري: عن علِيّ بن الحسن، عن عبد الله بن المبارك، عن ابن عون، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقًا، حديث رقم ٢٥٤١؛ وصحيح مسلم رقم ١٧٣٠.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:2541

استدلّ العلماء بهذا الحديث على أنّ **الدعوة قد بلغت** بني المصطلق قبل ذلك، فلم يجب دعاؤهم من جديد قبل الإغارة عليهم. وبيّن الإمام النووي وابن حجر أنّ الدعوة إلى الإسلام واجبةٌ في حقّ من لم تبلغهم.

من كتب السيرة: معركةٌ قصيرة

تذكر كتب السيرة أنّ القتال كان قصيرًا، فانهزم بنو المصطلق، وسُبي كثيرٌ منهم مع أموالهم. ولم يُذكر عدد جيش المسلمين في حديثٍ صحيح، وتذكر كتب السيرة أنّ كثيرًا من المنافقين خرجوا في هذه الغزوة طمعًا في الغنيمة لقرب المسافة.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية؛ ويكيبيديا، «Invasion of Banu Mustaliq».
https://en.wikipedia.org/wiki/Invasion_of_Banu_Mustaliq

والعبرة: أنّ وجود المنافقين كان **الخلفيّة** لابتلاءين جاءا بعد ذلك.

متى وقعت هذه الحادثة؟

رُتّبت هذه الحلقة بعد الحلقة ١٣ (بنو قريظة) بحسب الموضوع. غير أنّ التاريخ الحقيقيّ لغزوة بني المصطلق **مختلفٌ فيه** بين العلماء. وقد كتب الإمام البخاري نفسه في أوّل باب هذه الغزوة:

«باب غزوة بني المصطلق من خزاعة، وهي غزوة المريسيع. قال ابن إسحاق: وذلك سنة ستّ. وقال موسى بن عقبة: سنة أربع.» صحيح البخاري، كتاب المغازي.

العالِم	التاريخ المذكور
موسى بن عقبة	سنة ٤هـ
ابن سعد والواقدي	شعبان سنة ٥هـ
ابن إسحاق	شعبان سنة ٦هـ
ابن حجر (فتح الباري)	رجّح سنة ٥هـ بقرائن في الحديث

ومن القرائن المهمّة أنّ **سعد بن معاذ** رضى الله عنه مذكورٌ في حديث الإفك (الباب ١٢)، وقد تُوفّي سعد بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة ٥هـ (الحلقة ١٣). ولذلك رأى كثيرٌ من العلماء، ومنهم ابن حجر، أنّ غزوة بني المصطلق كانت في **شعبان سنة ٥هـ**، أي **قبل** غزوة الخندق. وقدّم بعض العلماء توجيهاتٍ أخرى، والكلام في ذلك طويلٌ في فتح الباري.

والعبرة: أنّ علماء الحديث كانوا في غاية **الدقّة والأمانة**؛ لم يُخفوا الخلاف، بل جمعوه ووازنوا بينه بالدليل. والمهمّ لنا هو **عبرة** هذه الحادثة، وهي لا تتغيّر أيًّا كان تاريخها.

جُوَيْرِيَةَ: العروس التي أعتقت قومها

كان من سبي بني المصطلق **جويرية بنت الحارث**، ابنة سيّدهم. وفي حديث عبد الله بن عمر في الباب ١ أنّه ﷺ «أصاب يومئذٍ جويرية». وتحكي عائشة رضى الله عنها ما جرى بعد ذلك:

وقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس بن شمّاس رضى الله عنه، فكاتبته على نفسها، وجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها. فقال: «**فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ أَقْضِي عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ**». قالت: نعم. فلمّا سمع الناس أنّ رسول الله ﷺ قد تزوّجها أرسلوا ما في أيديهم من السبي وقالوا: «**أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**». قالت عائشة: «**فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا، أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ**» (سنن أبي داود ٣٩٣١، وحسّنه الألباني).

وروى الإمام مسلم أنّ اسمها كان **بَرَّة**، فحوّله رسول الله ﷺ إلى **جويرية** (صحيح مسلم ٢١٤٠). وصارت من **أمّهات المؤمنين**، واشتهرت بكثرة الذكر.

أثر هذا الزواج	البيان
إعتاق الأسرى	نحو مائة أهل بيتٍ نالوا حرّيّتهم
انتهاء العداوة	صار بنو المصطلق أصهارًا لا أعداء
كرامة جويرية	من الأسر إلى مقام أمّ المؤمنين
حكمة الدعوة	أسلم قومها بعد ذلك (كتب السيرة)

والعبرة: أنّ رسول الله ﷺ حوّل **الهزيمة إلى رحمة**؛ فقرارٌ حكيمٌ واحد أطفأ العداوة وأعتق قومًا بأسرهم.

ذِكر جويرية

اشتهرت جويرية رضى الله عنها بعبادتها. فقد روت أنّ رسول الله ﷺ خرج من عندها بُكرةً حين صلّى الصبح وهي في مسجدها، ثمّ رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**» (صحيح مسلم ٢٧٢٦).

ومعناه: **تنزيه الله وحمده بعدد خلقه، وبقدر رضا نفسه، وبوزن عرشه، وبمقدار مداد كلماته.** عُلِّم هذا الذكرُ امرأةً كانت بالأمس من سبي الحرب — فصارت اليوم معلّمةً للذكر للأمّة كلّها.

دعوى الجاهلية عند الماء

بعد النصر، وبينما كان المسلمون يستريحون عند ماء المريسيع، وقعت مشاجرةٌ صغيرة كادت تُشعل فُرقةً كبيرة. يحكي جابر بن عبد الله رضى الله عنهما:

حديث — جامع الترمذي، رقم ٣٣١٥

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ كُنَّا فِي غَزَاةٍ قَالَ سُفْيَانُ يَرَوْنَ أَنَّهَا غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ يَا لَلأَنْصَارِ فَسَمِعَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ. قَالُوا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَسَعَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ. فَسَمِعَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىِّ ابْنُ سَلُولَ فَقَالَ أَوَقَدْ فَعَلُوهَا وَاللَّهِ (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ) فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ. وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَاللَّهِ لاَ تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْعَزِيزُ. فَفَعَلَ. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

السند رواه الإمام الترمذي: عن ابن أبي عمر، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما.

التخريج: رواه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المنافقين، حديث رقم ٣٣١٥؛ وأصله في صحيح البخاري رقم ٤٩٠٥ وصحيح مسلم رقم ٢٥٨٤.

الدرجة: حسنٌ صحيح — قال الإمام الترمذي: حسنٌ صحيح، وحسّنه محقّقو دار السلام. وقصّة هذا الخصام في صحيح البخاري ٤٩٠٥ أيضًا.

المصدر: https://sunnah.com/tirmidhi:3315

«دعوها فإنّها مُنتنة»

النداء بـ«**يا للمهاجرين!**» و«**يا للأنصار!**» يبدو عاديًّا — فكلا الاسمين شريفٌ في القرآن الكريم. ولكن حين يُتّخذ دعوةً إلى **التحزّب والعداوة** يصير دعوى جاهلية، وقد وصفه رسول الله ﷺ بأنّه **مُنتن**.

وروى البخاريّ الحديث نفسه (صحيح البخاري ٤٩٠٥). وتأمّل جوابه ﷺ لعمر: «**دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**». فقد حفظ ﷺ **سمعة الدعوة**، لأنّ مَن في الخارج لا يعرفون المنافق من المؤمن.

والعبرة: أنّ **العصبيّة** — التعصّب للقبيلة أو القوم أو الجماعة — قد تمزّق الأمّة ولو بعد النصر. والإسلام يجمعنا على الإيمان، لا على النسب ولا على الجماعة.

زيد بن أرقم يصدّقه الله

كلمة عبد الله بن أُبيّ — ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ — سمعها غلامٌ من الأنصار هو **زيد بن أرقم** رضى الله عنه، فنقلها. وما جرى له بعد ذلك صار درسًا في **الصدق حين يُمتحن**:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤٩٠٠

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ، يَقُولُ لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ وَلَوْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا. الأَذَلَّ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَصَدَّقَهُ فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ لِي عَمِّي مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمَقَتَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ} فَبَعَثَ إِلَىَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَرَأَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ.

السند رواه الإمام البخاري: عن عبد الله بن رجاء، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة المنافقين، حديث رقم ٤٩٠٠؛ وانظر أيضًا ٤٩٠١-٤٩٠٤؛ وصحيح مسلم رقم ٢٧٧٢.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4900

وفضح الله كلمة ابن أُبيّ في سورة المنافقين: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تفسير ابن كثير ٦٣: ٨.

تخيّل مشاعر زيد: غلامٌ صدق في قوله، فلم يُصدَّق لأنّ الكبار حلفوا على نفيه. لم **يكذب ليدافع عن نفسه**، ولم ينتقم، بل جلس في بيته حزينًا — حتى صدّقه الله بنفسه بالوحي.

والعبرة: أنّ الصادق قد **لا يُصدَّق إلى حين**، ولكنّ الله لا يُضيع الصدق. وقصّة زيد تمهيدٌ لقصّة عائشة: كلاهما رُمي بالباطل، وكلاهما صبر، وكلاهما صدّقه القرآن.

ابنٌ اختار الحقّ

وينتهي حديث جابر في الباب ٤ بتفصيلٍ مؤثّر: فابن عبد الله بن أُبيّ نفسه، واسمه أيضًا **عبد الله** رضى الله عنه، منع أباه وقال: «**وَاللَّهِ لَا تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَزِيزُ**»

من كتب السيرة: على باب المدينة

تذكر كتب السيرة أنّ عبد الله وقف على مدخل المدينة يمنع أباه، ولم يأذن له بالدخول حتى أذن له رسول الله ﷺ. وروى ابن إسحاق أنّ عبد الله جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن كنتَ تريد قتل أبي فمُرني أنا به، فإنّي أخشى ألّا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس.

فقال رسول الله ﷺ: «**بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ، وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا**». والقصّة مشهورةٌ في كتب السيرة، أمّا تفصيل باب المدينة فليس في صحيحي البخاري ومسلم.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق)؛ جامع الترمذي ٣٣١٥. https://sunnah.com/tirmidhi:3315

والعبرة: أنّ الإيمان قد يُقيم الابن في صفّ **الحقّ** ولو على أبيه — ولكن بأدب، مع ردّ الأمر إلى رسول الله ﷺ. واختار رسول الله ﷺ **الرفق** لا العقوبة.

العِقد الضائع

نصل الآن إلى لبّ القصّة. تحكيها عائشة رضى الله عنها بنفسها مفصّلة (صحيح البخاري ٤١٤١): كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا **أقرع** بين أزواجه، فأيّتهنّ خرج سهمها خرج بها معه. وفي هذه الغزوة خرج سهم عائشة.

وكان ذلك بعد نزول الحجاب، فكانت عائشة تُحمل في **هَوْدَج** — مركبٍ مسقوفٍ على ظهر البعير. وفي طريق العودة، حين دنوا من المدينة، نزلوا ليلًا. فلمّا آذنوا بالرحيل خرجت عائشة بعيدًا قليلًا لقضاء حاجتها.

فلمّا رجعت لمست صدرها، فإذا **عِقدٌ لها من جَزْع ظَفار** (خرزٌ يمانيّ) قد انقطع وضاع. **فرجعت تلتمسه**، فحبسها ابتغاؤه.

التفصيل	معناه
القرعة بين الأزواج	عدل رسول الله ﷺ بين أزواجه
الهودج	صيانة سِتر زوج النبيّ وكرامتها
عِقدٌ زهيد الثمن	خرزٌ من جَزْع ظفار، لا حُليّ نفيس
الرجوع لالتماسه	الأمانة في حفظ المتاع ولو كان صغيرًا

والعبرة: أنّ الأحداث التي تغيّر التاريخ قد تبدأ أحيانًا **بأمرٍ صغيرٍ جدًّا**؛ فعِقدٌ زهيدٌ صار سببًا لنزول أحكامٍ عظيمة في سورة النور.

وحيدةً في الصحراء

وبينما كانت عائشة تلتمس عِقدها جاء الرهط الذين كانوا يرحلون هودجها فرحلوه على البعير، وهم **يحسبون أنّها فيه.** قالت عائشة: «وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ... وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ». فلم يستنكروا خِفّة الهودج.

فلمّا وجدت عائشة عِقدها ورجعت كان **المعسكر قد خلا**، ليس فيه داعٍ ولا مجيب. وما فعلته يدلّ على سكينتها وحكمتها: فهي **لم تجرِ** وراء الركب في الظلام، بل **جلست في منزلها** ظانّةً أنّهم سيفقدونها فيرجعون إليها. ثمّ غلبتها عيناها فنامت.

الحالة	ما فعلته عائشة
ضاع العِقد	رجعت تلتمسه
خلا المعسكر	لم تفزع؛ ولم تَهِم في الظلام
لا أحد	جلست في مكانها ليسهل العثور عليها
الانتظار	توكّلت على الله حتى نامت

والعبرة: أنّ **البقاء في المكان الآمن** وانتظار النجدة عند الخوف تصرّفٌ حكيم. ولا يزال خبراء السلامة اليوم ينصحون التائه بالنصيحة نفسها: «**قِفْ وانتظر في مكانك**».

صفوان بن المعطّل

كان صحابيٌّ يُدعى **صفوان بن المعطّل السُّلَمي** رضى الله عنه يسير من وراء الجيش ليتفقّد ما يتخلّف. فأدلج حتى أصبح عند ذلك المكان، فرأى سواد إنسانٍ نائم، فعرف عائشة، إذ كان يراها قبل نزول الحجاب.

قالت عائشة: «**فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، خَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ**». فأناخ صفوان راحلته فركبتها، وانطلق يقود بها حتى أتيا الجيش وهم نزولٌ في نحر الظهيرة (صحيح البخاري ٤١٤١).

انظر إلى أدب صفوان الكامل: **لم يتكلّم**، ولم يركب معها، ومضى بها إلى الركب علانيةً أمام الناس جميعًا. ومع ذلك فإنّ ما كان ينبغي أن يكون شاهدًا على النُّبل **حرّفه** مرضى القلوب.

الفرية تبدأ بالانتشار

لمّا رأى الناس عائشة قادمةً على راحلة صفوان بدأ مرضى القلوب **يتهامسون**. قالت عائشة: «**فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ**». وكان الذي تولّى كِبر الإفك **عبد الله بن أُبيّ ابن سلول**، رأس المنافقين (صحيح البخاري ٤١٤١).

وسمّاهم القرآن عصبةً قليلة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**﴾ تفسير ابن كثير ٢٤: ١١.

وكلمة «**عُصْبَة**» تدلّ على أنّ ناشري الفرية كانوا **قلّة**، لكنّ أصواتهم دوّت لأنّ غيرهم ردّدها بلا تفكير. ومن المؤسف أنّ بعض المؤمنين الصالحين تأثّروا بها — منهم **مِسْطَح بن أُثاثة** و**حسّان بن ثابت** و**حَمْنَة بنت جحش**.

الفئة	الأدوار في الفتنة
عبد الله بن أبيّ	المُبتدئ والناشر الأكبر («الذي تولّى كِبره»)
بعض المؤمنين	تأثّروا وردّدوها (مسطح، حسّان، حمنة)
أكثر الصحابة	سكتوا أو ردّوها
عائشة	لم تعلم شيئًا أسابيع عدّة

والعبرة: أنّ الفتنة لا تحتاج إلى كثيرين لتبدأ — يكفيها **مُبتدئٌ واحد** و**مردّدون كُثر**. وكلّ من يردّد الخبر دون تثبّت يصير حلقةً في تلك السلسلة.

الغيبة والبهتان والفتنة

بيّن رسول الله ﷺ الفرق بين ذنبين من ذنوب اللسان: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**» (صحيح مسلم ٢٥٨٩).

والإفك من أشدّ الأقسام: **البهتان** — اختلاق سوءٍ لا وجود له. وقد سمّاه القرآن نفسه ﴿**بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**﴾ (النور ٢٤: ١٦). والعبرة: أنّ نشر الشيء ولو كان صحيحًا من غير حاجةٍ إثم، فكيف إذا كان كذبًا؟

شهرٌ من المرض

ما إن بلغت عائشة المدينة حتى مرضت **شهرًا**، والناس يُفيضون في قول أصحاب الإفك، وعائشة **لا تعلم شيئًا**. غير أنّها أحسّت بأمرٍ غريب:

«وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تِيكُمْ؟ ثُمَّ يَنْصَرِفُ» (صحيح البخاري ٤١٤١).

ورسول الله ﷺ بشرٌ يتألّم. لم يصدّق الفرية، ولكنّ **الوحي لم ينزل بعد**، ولم يشأ أن يحكم بإدانةٍ أو براءةٍ دون بيانٍ من الله. وقد ظهر ذلك الحزن والحيرة في حاله.

> **من كتب السيرة: لماذا تأخّر الوحي؟**
>
> ذكر العلماء حِكَمًا لتأخّر الوحي شهرًا، منها: **ابتلاء** المؤمنين ليُعلم مَن يُحسن الظنّ؛ **وإثبات** أنّ رسول الله ﷺ لا يُنزل الوحي متى شاء — فلو كان القرآن من عنده لسارع إلى الدفاع عن زوجه؛ **ورفع درجة** عائشة بصبرها.
>
> المرجع:
>
> ابن حجر، فتح الباري — شرح الحديث ٤١٤١؛ تفسير ابن كثير (النور ٢٤: ١١). https://tafsir.app/ibn-katheer/24/11

والعبرة: أنّ تأخّر الوحي نفسه **دليلٌ على النبوّة**؛ فالكاذب لا ينتظر شهرًا في الحزن وهو قادرٌ على اختلاق آياتٍ تحلّ مشكلته.

الخبر يبلغ عائشة

علمت عائشة بالفرية أخيرًا على غير قصد. خرجت ليلةً إلى المَناصِع مع **أمّ مِسْطَح**، فعثرت أمّ مسطح في مِرطها فقالت: تَعِسَ مِسطح! فقالت لها عائشة: «بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟» فأخبرتها أمّ مسطح بما يقول الناس (صحيح البخاري ٤١٤١).

لاحِظ أنّ **أمّ مسطح نفسها** ذمّت ابنها لنشره الفرية — وأنّ عائشة، وهي المظلومة، ظلّت **تدافع** عن مسطح لأنّه من أهل بدر. وتروي أمّ عائشة **أمّ رُومان** رضى الله عنها اللحظة ذاتها من جهتها:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١٤٣

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ حَدَّثَنِي مَسْرُوقُ بْنُ الأَجْدَعِ، قَالَ حَدَّثَتْنِي أُمُّ رُومَانَ ـ وَهْىَ أُمُّ عَائِشَةَ رضى الله عنها ـ قَالَتْ بَيْنَا أَنَا قَاعِدَةٌ أَنَا وَعَائِشَةُ إِذْ وَلَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَتْ فَعَلَ اللَّهُ بِفُلاَنٍ وَفَعَلَ. فَقَالَتْ أُمُّ رُومَانَ وَمَا ذَاكَ قَالَتِ ابْنِي فِيمَنْ حَدَّثَ الْحَدِيثَ. قَالَتْ وَمَا ذَاكَ قَالَتْ كَذَا وَكَذَا. قَالَتْ عَائِشَةُ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ نَعَمْ. قَالَتْ وَأَبُو بَكْرٍ قَالَتْ نَعَمْ. فَخَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا، فَمَا أَفَاقَتْ إِلاَّ وَعَلَيْهَا حُمَّى بِنَافِضٍ، فَطَرَحْتُ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا فَغَطَّيْتُهَا. فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ مَا شَأْنُ هَذِهِ. قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَذَتْهَا الْحُمَّى بِنَافِضٍ. قَالَ فَلَعَلَّ فِي حَدِيثٍ تُحُدِّثَ بِهِ. قَالَتْ نَعَمْ. فَقَعَدَتْ عَائِشَةُ فَقَالَتْ وَاللَّهِ لَئِنْ حَلَفْتُ لاَ تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنْ قُلْتُ لاَ تَعْذِرُونِي، مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَيَعْقُوبَ وَبَنِيهِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ، قَالَتْ وَانْصَرَفَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عُذْرَهَا ـ قَالَتْ ـ بِحَمْدِ اللَّهِ لاَ بِحَمْدِ أَحَدٍ وَلاَ بِحَمْدِكَ.

السند رواه الإمام البخاري: عن موسى بن إسماعيل، عن أبي عوانة، عن حُصين بن عبد الرحمن، عن أبي وائل، عن مسروق بن الأجدع، عن أمّ رُومان رضى الله عنها.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، حديث رقم ٤١٤٣؛ وانظر أيضًا ٣٣٨٨ و٤٦٩١.

الدرجة: صحيح – أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4143

استأذنت عائشة أن تأتي أبويها لتستيقن الخبر. فهوّنت عليها أمّها قائلة: «يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا». قالت عائشة: «**فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ**» (صحيح البخاري ٤١٤١).

رسول الله ﷺ يستشير

ولمّا لم ينزل الوحي فإنّ رسول الله ﷺ **استشار** — كعادته في الأمور العظيمة، فخطب الناس يستشيرهم، ودعا خاصّته يسألهم على انفراد:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٧٣٧٠

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي زَكَرِيَّاءَ الْغَسَّانِيُّ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ. وَعَنْ عُرْوَةَ قَالَ لَمَّا أُخْبِرَتْ عَائِشَةُ بِالأَمْرِ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى أَهْلِي. فَأَذِنَ لَهَا وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْغُلاَمَ. وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

السند رواه الإمام البخاري: عن محمد بن حرب، عن يحيى بن أبي زكريّا الغسّاني، عن هشام بن عروة، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضى الله عنها.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب قول الله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾، حديث رقم ٧٣٧٠.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:7370

والرجل الأنصاريّ المذكور في هذه الرواية قال كلامًا نزل به **القرآن بعد ذلك** (النور ٢٤: ١٦). وتذكر كتب السيرة أنّ ممّن كان على هذا الموقف **أبا أيّوب الأنصاري** رضى الله عنه وامرأته (الباب ١٥).

المُستشار	الجواب (صحيح البخاري ٤١٤١)
أسامة بن زيد	«أَهْلَكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا»
عليّ بن أبي طالب	«لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ... وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ»

المُستشار	الجواب (صحيح البخاري ٤١٤١)
بَرِيرة (الخادمة)	«مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ»
زينب بنت جحش	«أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا»

وشهادة **زينب بنت جحش** رضى الله عنها مؤثّرةٌ جدًّا. قالت عائشة: «وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي (عند رسول الله ﷺ)، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ». فالضرّة التي كانت أقدر الناس على النيل من عائشة **شهدت بالحقّ.** والعبرة: أنّ التقوى تحفظ اللسان ولو مع المنافِسة.

توتّرٌ في المسجد

ثمّ قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا**» (صحيح البخاري ٤١٤١).

فقام سعد بن معاذ، سيّد الأوس، فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله؛ إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. فقام **سعد بن عبادة**، سيّد الخزرج — وصفته عائشة بأنّه كان رجلًا صالحًا، ولكن **احتملته الحميّة** — فاعترض. ثمّ قام **أُسَيد بن حُضَير** فردّ عليه، **فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا في المسجد**، ورسول الله ﷺ قائمٌ على المنبر، فلم يزل يخفّضهم حتى سكتوا.

فانظر إلى خطر الفتنة: بدأت باتّهام امرأة، ثمّ كادت تُشعل حربًا أهليّة بين الأوس والخزرج اللذين ألّف الإسلام بينهما بعد عداوةٍ دامت عقودًا. وهذا ما أراده المنافقون: **تمزيق** المجتمع المسلم من داخله.

والعبرة: أنّ **الحميّة القبليّة** قد تغلب عند التوتّر حتى على الصالحين؛ فعلى القائد أن يهدأ ويُهدّئ، كما ظلّ رسول الله ﷺ يخفّضهم.

«فصبرٌ جميل»

بكت عائشة ليلتين ويومًا حتى ظنّت أنّ البكاء فالقٌ كبدها. ثمّ جاء رسول الله ﷺ **فجلس عندها** — ولم يجلس عندها منذ شهر — فتشهّد ثمّ قال: «**أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ**» صحيح البخاري ٤١٤١.

فقلص دمع عائشة، وطلبت من أبيها ثمّ من أمّها أن يجيبا عنها — فقال كلٌّ منهما: «وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ». فأجابت عائشة، وهي جاريةٌ حديثة السنّ، بنفسها بكلماتٍ ملؤها الإيمان:

«**وَاللَّهِ لَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ — وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ — لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ**»:

﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ تفسير ابن كثير ١٢: ١٨.

قالت عائشة إنّها لم تذكر اسم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حينئذٍ من شدّة الحزن، فقالت: «أبو يوسف». ثمّ اضطجعت موقنةً **أنّ الله سيبرّئها**، وإن لم تكن تظنّ أنّ الله ينزل في شأنها قرآنًا يُتلى — إنّما كانت ترجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرّئها الله بها.

والعبرة: أنّ **الصبر الجميل** هو الصبر الذي لا شكوى فيه إلى الخلق، مع تفويض الأمر إلى الله. وهو سلاح المظلوم حين لا يصدّقه أحد.

عجبًا لأمر المؤمن

قال رسول الله ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» صحيح مسلم ٢٩٩٩.(

وقد أحيت عائشة هذا الحديث طوال محنة الإفك: صبرت حين رُميت، فلمّا نزلت البراءة **حمدت الله وحده.** وهذا سرّ قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (النور ٢٤: ١١).

نزول الوحي: براءةٌ من السماء

فما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحدٌ من أهل البيت، حتى **أُنزل عليه الوحي**. تصف عائشة: فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء، حتى إنّه ليتحدّر منه **مثلُ الجُمان من العَرَق** في اليوم الشاتي.

فلمّا سُرّي عنه وهو يضحك كانت أوّل كلمةٍ تكلّم بها: «**يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ**». فقالت أمّها: قومي إليه. فقالت عائشة: «**وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ**» صحيح البخاري ٤١٤١.(

وأنزل الله عشر آياتٍ من سورة النور (٢٤: ١١–٢٠)، أوّلها: ﴿**لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ تفسير ابن كثير ٢٤: ١١.

فكيف تكون فريةٌ بهذا الألم ﴿**خَيْرٌ لَكُمْ**﴾؟ يبيّن ابن كثير: لأنّها جلبت **أجرًا عظيمًا** لعائشة وأهلها، وبراءةً **خالدة** في القرآن تُتلى إلى يوم القيامة، **وأحكامًا** تحمي أعراض الأمّة إلى آخر الزمان.

الآية	المضمون الرئيس
24: 11	ناشرو الإفك عصبةٌ قليلة؛ وهو خيرٌ لكم
24: 12–13	حسن الظنّ؛ والمطالبة بأربعة شهداء
24: 14–15	تلقّيه بالألسنة؛ وحسبانه هيّنًا
24: 16–18	«ما يكون لنا أن نتكلّم بهذا»؛ والتحذير من العَود
24: 19–20	وعيد الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة

حسن الظنّ وأربعة شهداء

أوّل آيةٍ بعد البراءة تعاتب المؤمنين في طريقة تلقّيهم الخبر: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ تفسير ابن كثير ٢٤: ١٢.

تأمّل قوله: ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾. يعلّمنا القرآن أنّ الأخ في الإيمان **كالنفس**؛ فكما نحبّ أن يظنّ الناس بنا، كذلك ينبغي أن نظنّ بهم.

من كتب السيرة: أبو أيّوب وأمّ أيّوب

روى ابن إسحاق أنّ أمّ أيّوب قالت لزوجها **أبي أيّوب الأنصاري** رضى الله عنه: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: نعم، وذلك الكذب، أكنتِ فاعلةً ذلك يا أمّ أيّوب؟ قالت: لا والله. قال: «**فَعَائِشَةُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكِ**»

وهذا مثالٌ حيٌّ للآية ٢٤: ١٢ – أن تقيس غيرك على نفسك فتُحسن الظنّ. والقصّة مشهورةٌ في كتب السيرة والتفسير، وإن لم تكن في صحيحي البخاري ومسلم.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية؛ تفسير ابن كثير (النور ٢٤: ١٢). https://tafsir.app/ibn-katheer/24/12

وتسأل الآية التالية (٢٤: ١٣): لماذا لم يأتوا بـ**أربعة شهداء**؟ فتهمة الزنا أشدّ التهم على العرض، ولذلك اشترط الإسلام لها أشدّ البيّنات. ومن غير هذه البيّنة يكون القاذف نفسه **كاذبًا** عند الله.

والعبرة: أنّ **حسن الظنّ** أوّل خطوةٍ لإيقاف الفتنة، **والبيّنة** الخطوة الثانية. ومن اتّهم بلا بيّنةٍ فهو المذنب.

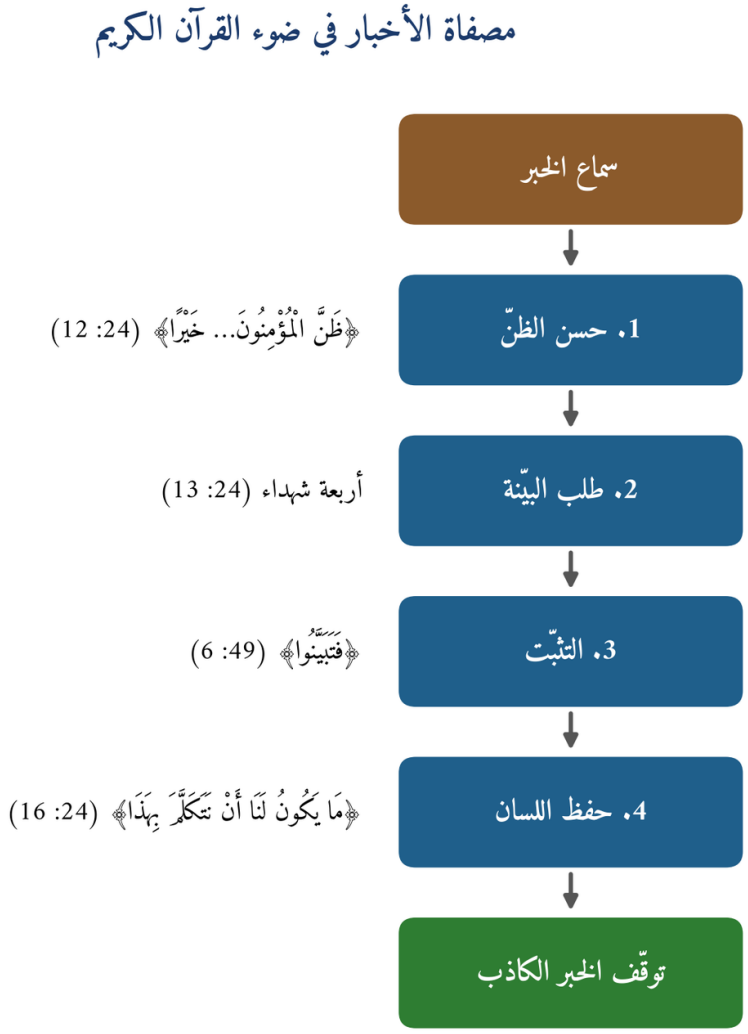
ألسنةٌ تتلقّى الخبر

يصوّر القرآن انتشار الفتنة تصويرًا دقيقًا: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ تفسير ابن كثير ٢٤: ١٥.

لاحِظ: الخبر **يُتلقّى باللسان** لا بالأذن، كأنّه ينتقل من لسانٍ إلى لسان **دون أن يمرّ بالعقل.** وكانت عائشة نفسها تقرأ «**تَلَقُونَهُ**»، وتقول: إنّ معناها «**تكذبون**» صحيح البخاري ٤١٤٤.)

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ تفسير ابن كثير ٢٤: ١٦.

الخطأ	بحسب الآية ٢٤: ١٥
التلقّي باللسان	الترديد بلا تفكير
الكلام بغير علم	نشر ما لا يُعلم صدقه
حسبانه هيّنًا	«إنّما أردّد ما يقوله الناس»
عظيمٌ عند الله	ذنبٌ بالغ الخطورة



الشكل ٣: مصفاة الأخبار في ضوء القرآن الكريم.

والعبرة: أنّنا إذا سمعنا سوءًا عن أخينا بلا بيّنة، فالموقف الذي يعلّمنا إيّاه القرآن هو أن **نوقفه عندنا — فلا ننشره ولو إلى صديقٍ واحد.**

حدّ القذف

وكان حديث الإفك أيضًا سببًا في إقامة **حدّ القذف** — وهو عقوبة من رمى امرأةً (أو رجلًا) محصنةً بالزنا دون بيّنةٍ كافية. قال الله تعالى في أوّل سورة النور:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ تفسير ابن كثير ٢٤: ٤.

قالت عائشة رضى الله عنها :«**لَمَّا نَزَلَ عُذْرِي قَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ ذَاكَ وَتَلَا الْقُرْآنَ، فَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْمِنْبَرِ أَمَرَ بِالرَّجُلَيْنِ وَالْمَرْأَةِ فَضُرِبُوا حَدَّهُمْ**» سنن أبي داود ٤٤٧٤، وحسّنه الألباني). وتسمّيهم كتب السيرة: **مسطح بن أثاثة، وحسّان بن ثابت، وحمنة بنت جحش**.

من كتب السيرة: وماذا عن ابن أُبيّ؟

اختلف العلماء هل أُقيم الحدّ على عبد الله بن أُبيّ أيضًا؛ ففي بعض الروايات أنّه جُلد، وفي غيرها لا. وذكر ابن كثير وغيره أنّ **العذاب العظيم** (٢٤: ١١) الموعود به في الآخرة، لأنّه هو ﴿**الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ**﴾ في هذه الفتنة.

المرجع:

تفسير ابن كثير (النور ٢٤: ٤، ١١)؛ ابن حجر، فتح الباري. https://tafsir.app/ibn-katheer/24/4

حدّ القذف	حكمته
ثمانون جلدة	حماية أعراض الناس من التهم الطائشة
ردّ الشهادة	يفقد القاذف ثقة المجتمع
الوصف بالفسق	الاتّهام بلا بيّنةٍ كبيرةٌ من الكبائر
قبول التوبة (٢٤: ٥)	باب الرجوع إلى الله يبقى مفتوحًا

والعبرة: أنّ الإسلام يرى **العِرض** في منزلةٍ عالية كمنزلة النفس والمال.

أبو بكر ومِسْطَح: العفو

مِسْطَح بن أُثاثة قريبٌ فقيرٌ لأبي بكر رضى الله عنه، وكان أبو بكر **يُنفق عليه** دائمًا. فلمّا خاض مسطحٌ في الإفك على ابنة أبي بكر نفسه حلف أبو بكر: «وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا». فأنزل الله (صحيح البخاري ٤١٤١:(

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تفسير ابن كثير ٢٤: ٢٢.

فقال أبو بكر على الفور: «**بَلَى وَاللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي**». فرجع إلى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه، وقال: «وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا» (صحيح البخاري ٤١٤١.(

تخيّل: أبٌ رُميت ابنته بأشنع تهمة، على لسان قريبٍ كان هو نفسه يعوله. ومع ذلك، حين سأله الله ﴿**أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ لم يتردّد. ولذلك لُقّب أبو بكر بـ**الصدّيق**.

العبرة	من الآية ٢٤: ٢٢
لا يُقطع المعروف بسبب الخطأ	يستمرّ في عون القريب وإن أخطأ
العفو والصفح	﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾
الجزاء من جنس العمل	من عفا عن الناس غفر الله له
مسطحٌ من أهل بدر	الخطأ لا يمحو كلّ الخير

والعبرة: أنّ **العفو عمّن آذانا** طريقٌ إلى مغفرة الله. وكثيرًا ما يذكر العلماء هذه الآية من أرجى آيات القرآن الكريم.

حسّان بن ثابت وعائشة

حسّان بن ثابت رضى الله عنه شاعر رسول الله ﷺ الذي نافح عن الإسلام بشعره (الحلقة ١٣). ومن المؤسف أنّه كان ممّن تأثّروا بفرية الإفك. فكيف كان موقف عائشة منه بعد ذلك؟ يحكي مسروق:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١٤٦

حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ وَعِنْدَهَا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُنْشِدُهَا شِعْرًا، يُشَبِّبُ بِأَبْيَاتٍ لَهُ وَقَالَ: حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ. قَالَ مَسْرُوقٌ فَقُلْتُ لَهَا لِمَ تَأْذَنِينَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكِ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}. فَقَالَتْ وَأَىُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَى. قَالَتْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ ـ أَوْ يُهَاجِي ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

السند رواه الإمام البخاري: عن بشر بن خالد، عن محمد بن جعفر (غُندَر)، عن شعبة، عن سليمان الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة رضى الله عنها.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، حديث رقم ٤١٤٦؛ وانظر أيضًا ٤٧٥٥-٤٧٥٦؛ وصحيح مسلم رقم ٢٤٨٨.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4146

مدح حسّانُ عائشةَ بأنّها **لا تأكل لحوم** الغوافل — أي لا تغتاب. فأجابته عائشة بلطف: «**لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ**» — تذكّره بزلّته القديمة. ومع ذلك ظلّت **تستقبله** وتدافع عنه، لبلائه في الذبّ عن رسول الله ﷺ.

وفي روايةٍ أخرى قال عروة: ذهبتُ أسبّ حسّان عند عائشة فقالت: «**لَا تَسُبَّهُ، فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ** ﷺ» «صحيح البخاري ٤١٤٥.)

والعبرة: أنّ عائشة كانت المظلومة، لكنّها **لم تحمل حقدًا**؛ فقد أنصفت حسّان — أقرّت بزلّته ولم تنسَ فضله. وهذا خُلق صاحب القلب السليم.

العِقد الثاني وآية التيمّم

وكان عِقد عائشة مرّةً أخرى سببًا لنزول حكمٍ من أحكام الله، في سفرٍ آخر. وقد اختلف العلماء أكان ذلك في السفر نفسه أم في سفرٍ غيره، وكلاهما يدلّ على بركة آل أبي بكر:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٣٣٤

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ ـ أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ ـ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْتِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَقَالُوا أَلاَ تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالنَّاسِ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ. فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ فَقَالَ حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلاَّ مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى فَخِذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا. فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ. قَالَتْ فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَأَصَبْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ.

السند رواه الإمام البخاري: عن عبد الله بن يوسف، عن مالك بن أنس، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة رضى الله عنها.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التيمّم، حديث رقم ٣٣٤؛ وانظر أيضًا ٤٦٠٧؛ وصحيح مسلم رقم ٣٦٧.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:334

والآية النازلة هي آية التيمّم في سورة المائدة (ونظيرتها في النساء ٤: ٤٣): ﴿**فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾ تفسير ابن كثير ٥: ٦.

وكلمة أُسَيد بن حُضَير – «**مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ**» – تبيّن كيف نظر الصحابة إلى ما جرى لعائشة: من مشقّةٍ شخصيّة وُلد **تيسيرٌ للأمّة كلّها.** وإلى اليوم يتيمّم المسلم المريض أو الفاقد للماء بسبب عِقد عائشة.

والعبرة: أنّ الله يجعل **العسر طريقًا إلى اليسر.** ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (النور ٢٤: ١١).

فضل عائشة

بعد تلك الفتنة الشديدة أظهر الله ورسوله ﷺ **فضل عائشة** بطرقٍ شتّى، منها السلام من جبريل نفسه:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٣٧٦٨

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ إِنَّ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ. فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لاَ أَرَى. تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

السند رواه الإمام البخاري: عن يحيى بن بُكير، عن الليث بن سعد، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة رضى الله عنها.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، باب فضل عائشة، حديث رقم ٣٧٦٨؛ وصحيح مسلم رقم ٢٤٤٧.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:3768

وقال رسول الله ﷺ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**» (صحيح البخاري ٣٧٧٠ — والثريد خبزٌ مفتوتٌ في مرق اللحم، وكان أحبّ الطعام إلى العرب يومئذٍ.

«وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا»

ومع ذلك بقيت عائشة **متواضعة**. فبعد عشرات السنين، وهي في مرض موتها، جاءها ابن عبّاس يعودها:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤٧٥٣

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَ مَوْتِهَا عَلَى عَائِشَةَ، وَهْيَ مَغْلُوبَةٌ قَالَتْ أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ. فَقِيلَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ. قَالَتِ ائْذَنُوا لَهُ. فَقَالَ كَيْفَ تَجِدِينَكِ قَالَتْ بِخَيْرٍ إِنِ اتَّقَيْتُ. قَالَ فَأَنْتِ بِخَيْرٍ ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ. وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلاَفَهُ فَقَالَتْ دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا.

السند رواه الإمام البخاري: عن محمد بن المثنّى، عن يحيى بن سعيد القطّان، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، عن ابن أبي مُليكة، عن عبد الله بن عبّاس رضى الله عنهما.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة النور، حديث رقم ٤٧٥٣؛ وانظر أيضًا ٣٧٧١.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4753

ذكر ابن عبّاس أعظم فضائل عائشة: «**وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ**». لكنّ جواب عائشة يكشف عن تقواها: فقد أحبّت أن تكون **نسيًا منسيًّا** على أن تُمدح، خشية أن يُفسد المدحُ الإخلاص.

فضل عائشة	المصدر
براءةٌ من السماء	النور ٢٤: ١١–٢٦
السلام من جبريل	صحيح البخاري ٣٧٦٨
كفضل الثريد على سائر الطعام	صحيح البخاري ٣٧٧٠

فضل عائشة	المصدر
سبب نزول آية التيمّم	صحيح البخاري ٣٣٤
من المكثرين من رواية الحديث	أكثر من ٢٠٠٠ حديث (كتب علوم الحديث)

اللسان في زمن وسائل التواصل

انتشرت فرية الإفك من فمٍ إلى فم في مدينةٍ صغيرة. أمّا اليوم فقد تنتشر الفرية إلى **ملايين الناس في دقائق** عبر واتساب وفيسبوك وتيك توك. فصارت عِبر سورة النور أهمّ من أيّ وقتٍ مضى. وقد نبّه رسول الله ﷺ إلى خطر الكلمة الواحدة:

> **حديث — صحيح البخاري، رقم ٦٤٧٨**
>
> حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُنِيرٍ، سَمِعَ أَبَا النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ دِينَارٍ - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ.
>
> **السند** رواه الإمام البخاري: عن عبد الله بن مُنير، عن أبي النضر، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضى الله عنه.
>
> **التخريج:** رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث رقم ٦٤٧٨؛ وصحيح مسلم رقم ٢٩٨٨.
>
> **الدرجة:** صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.
>
> المصدر: https://sunnah.com/bukhari:6478

وأمر الله بالتثبّت من كلّ خبر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ تفسير ابن كثير ٤٩: ٦.

ملاحظة علمية: الأخبار الكاذبة أسرع

حلّلت دراسةٌ كبيرة نُشرت في مجلّة **Science** سنة ٢٠١٨ نحو **١٢٦٬٠٠٠ سلسلة أخبار** على تويتر شاركها أكثر من ثلاثة ملايين شخص. ووجد باحثون من معهد MIT أنّ **الأخبار الكاذبة تنتشر أبعد وأسرع وأوسع** من الأخبار الصادقة؛ فالخبر الكاذب **أرجح بنسبة ٧٠٪ أن يُعاد نشره**، والخبر الصادق يستغرق

نحو **ستّة أضعاف الوقت** ليصل إلى ١٥٠٠ شخص (Vosoughi, Roy & Aral، "The spread of true and false news online"، ٢٠١٨، Science ٣٥٩).

ووجدت الدراسة أيضًا أنّ الأخبار الكاذبة أكثر احتواءً على عناصر **المفاجأة والانفعال**، ممّا يدفع الناس إلى المشاركة دون تفكير — تمامًا كما صوّر القرآن: ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ... وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا**﴾ (٢٤: ١٥).

وقد قدّم القرآن العلاج قبل ١٤٠٠ عام: **حسن الظنّ، وطلب البيّنة، والتثبّت، والسكوت**.

قبل أن تشارك	اسأل نفسك
هل هو صحيح؟	هل عندي بيّنةٌ معتبرة؟ (٢٤: ١٣؛ ٤٩: ٦)
هل هو خير؟	هل فيه فضيحةٌ لأحد؟ (٢٤: ١٩)
هل نشره ضروريّ؟	﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ (٢٤: ١٦)
ماذا لو كان عنّي؟	حسن الظنّ ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٢٤: ١٢)

وقال رسول الله ﷺ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**» (صحيح مسلم، المقدّمة ٥). والعبرة: أنّ زرّ «المشاركة» هو **لسان العصر الحديث**، وسنُسأل عنه.

مصادر قصص الإفك

وصلتنا قصّة الإفك عبر ثلاثة أنواعٍ من المصادر تتفاوت درجاتها. ويميّز هذا الكتاب بينها ليعرف القارئ **ما هو ثابت وما هو مشهور**:

مصادر قصص الإفك

القرآن الكريم (6)

- ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ (63: 8)
- الإفك خيرٌ لكم (24: 11)
- حسن الظنّ وأربعة شهداء (24: 12–13)
- الألسنة والأفواه (24: 15–16)
- حدّ القذف (24: 4)
- العفو عن مسطح (24: 22)

حديث صحيح (9)

- الإغارة على بني المصطلق
- دعوى الجاهلية عند الماء
- تصديق زيد بن أرقم
- ضياع العِقد، صفوان، انتشار الفرية
- أمّ رومان، الاستشارة، بريرة
- حسّان وعائشة
- آية التيمّم
- سلام جبريل، ثناء ابن عبّاس
- حدّ القذف (أبو داود — حسن)

كتب السيرة (3)

- تاريخ الغزوة
- عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ على باب المدينة
- أبو أيّوب وأمّ أيّوب

تُذكر قصص كتب السيرة مع بيان درجتها في الباب المتعلّق بها.

الشكل ٤: درجة مصادر قصص الإفك في هذا الكتاب.

القصة	المصدر والدرجة
كلمة ابن أَبيّ؛ براءة عائشة؛ القذف؛ العفو عن مسطح	القرآن الكريم (المنافقون ٦٣: ٨؛ النور ٢٤: ٤–٢٦) — قطعيّ
الغزو؛ العِقد؛ صفوان؛ الفرية؛ الاستشارة؛ الوحي	صحيح البخاري ٢٥٤١، ٤١٤١، ٤١٤٣، ٧٣٧٠ — صحيح
زيد بن أرقم؛ حسّان؛ التيمّم؛ فضل عائشة	صحيح البخاري ٤٩٠٠، ٤١٤٦، ٣٣٤، ٣٧٦٨، ٣٧٧٠، ٤٧٥٣ — صحيح
دعوى الجاهلية؛ ابن ابن أُبيّ	جامع الترمذي ٣٣١٥ — حسنٌ صحيح؛ صحيح البخاري ٤٩٠٥
جويرية؛ إقامة الحدّ على الثلاثة	سنن أبي داود ٣٩٣١، ٤٤٧٤ — حسن
التاريخ؛ ابن ابن أُبيّ على باب المدينة؛ أبو أيّوب	كتب السيرة (ابن إسحاق، الواقدي) — مشهور، بأسانيد متفاوتة

ليست قصص كتب السيرة مكذوبةً بالضرورة؛ فقد رواها علماء سيرةٍ ثقات. لكنّها **لا ترقى** إلى منزلة القرآن والحديث الصحيح. **ولم يُدرج** هذا الكتاب الإسرائيليات ولا الروايات الظاهرة الوضع.

آيات البراءة: النور ٢٤: ١١-٢٦

ذكرت عائشة رضى الله عنها في حديث الإفك أنّ الله أنزل عشر آياتٍ أوّلها ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ...﴾ (صحيح البخاري ٤١٤١). وتناول المفسّرون الآيات من ١١ إلى ٢٦ من سورة النور سلسلةً واحدةً في هذه الحادثة. وقد شرحت الأبواب السابقة بعضها، ويجمع الجدول الآتي الآيات الستّ عشرة ليرى القارئ الصورة كاملة.

الآية	المعنى باختصار	في هذا الكتاب
24: 11	ناشرو الكذب عصبةٌ قليلة، وليس شرًّا بل هو خيرٌ لكم	البابان ٨، ١٤
24: 12	كان ينبغي للمؤمنين أن يُحسنوا الظنّ	الباب ١٥
24: 13	لماذا لم يأتوا بأربعة شهداء؟	الباب ١٥
24: 14	لولا فضل الله لمسّكم عذابٌ عظيم	هذا الباب
24: 15	تلقّي الخبر باللسان وحسبانه هيّنًا	الباب ١٦
24: 16	﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾	الباب ١٦
24: 17	يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدًا	هذا الباب
24: 18	يبيّن الله الآيات	هذا الباب
24: 19	الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين لهم عذابٌ أليم	الباب ٢٢، وهذا الباب
24: 20	رحمة الله التي دفعت العذاب	هذا الباب
24: 21	لا تتّبعوا خطوات الشيطان، وما زكا أحدٌ إلّا بفضل الله	هذا الباب
24: 22	العفو والصفح	الباب ١٨
24: 23	قاذفو المحصنات الغافلات المؤمنات لُعنوا في الدنيا والآخرة	هذا الباب، والسؤالان ٩-١٠

الآية	المعنى باختصار	في هذا الكتاب
24: 24	تشهد الألسنة والأيدي والأرجل	هذا الباب
24: 25	يوفّيهم الله دينهم الحقّ بالعدل	هذا الباب
24: 26	الطيّبات للطيّبين، أولئك مبرّؤون ممّا يقولون	السؤال ٦

خطوات الشيطان

تحذّر الآية ٢١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (النور ٢٤: ٢١). فالفتنة قلّما تبدأ بكذبةٍ كبيرة، إنّما تبدأ بخطوةٍ صغيرة: همسة، ثمّ سؤال «أصحيح هذا؟»، ثمّ ترديده لآخرين. وكلّ خطوةٍ تبدو تافهة، لكنّها تنتهي إلى إثمٍ عظيم. وتذكّر الآية نفسها بأنّه ﴿مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ لولا فضل الله، فلا مجال لأن يرى المرء نفسه أطهر ممّن زلّت قدمه.

الجوارح تشهد

وتختم الآيات ٢٣-٢٥ هذه السلسلة بأشدّ الوعيد: فالذين يرمون المؤمنات المحصنات الغافلات — اللواتي لم يخطر الفاحشة ببالهنّ — ملعونون في الدنيا والآخرة، ويوم القيامة يشهد عليهم اللسان الذي قذف به (النور ٢٤: ٢٣-٢٥).

حديث: السبع الموبقات

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ». قالوا: يا رسول الله، وما هنّ؟ قال: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ».

الدرجة: صحيح — صحيح البخاري ٢٧٦٦؛ وأخرجه مسلم أيضًا ٨٩.

العبرة

ليست هذه الآيات الستّ عشرة تبرئةً لامرأةٍ كريمةٍ فحسب، بل هي دستورٌ للّسان للأمّة كلّها: حسن الظنّ، وطلب البيّنة، وإيقاف الخبر السيّئ عند النفس، وكراهية أن تشيع الفاحشة، والعفو، والتذكّر الدائم أنّ ألسنتنا ستشهد علينا.

سورة النور: حصنُ أعراض المجتمع

تقع آيات الإفك في قلب سورة النور، وهي سورةٌ مليئة بأحكام صيانة الأعراض. فبعد هذه الحادثة لم يكتفِ القرآن بمعاقبة ناشري الفرية، بل أقام سياجًا يجعل وقوع الفتنة عسيرًا. والقاعدة بسيطة: أغلِق الباب قبل أن يدخل اللصّ.

الآية	الحكم	الحصن الذي يبنيه
24: 2	حدّ الزنا	منع الفاحشة نفسها بحزم
24: 4–5	حدّ القذف (الباب ١٧)	معاقبة الاتّهام بلا بيّنة
24: 27–29	الاستئذان والسلام قبل دخول بيوت الآخرين	حفظ خصوصيّة البيوت
24: 30	غضّ الرجال أبصارهم	إغلاق أوّل أبواب الفتنة
24: 31	غضّ النساء أبصارهنّ وحفظ العورات	صيانة العِرض
24: 32	الحثّ على النكاح	تصريف الفطرة في الحلال
24: 58–59	الاستئذان في أوقات العورات الثلاث داخل البيت	آدابٌ داخل الأسرة

حديث: الاستئذان من أجل البصر

عن سهل بن سعد رضى الله عنه أنّ رجلًا اطّلع من جُحرٍ في باب النبيّ ﷺ، فقال: «لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ».

الدرجة: صحيح — صحيح البخاري ٦٢٤١.

حديث: الاستئذان ثلاثًا

جاء أبو موسى الأشعري رضى الله عنه إلى عمر رضى الله عنه فسلّم ثلاثًا، فلم يُؤذن له فرجع. فلمّا سأله عمر عن رجوعه قال أبو موسى إنّ رسول الله ﷺ قال: «إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ». فطلب عمر بيّنة، فشهد له صحابيٌّ آخر بالحديث.

الدرجة: صحيح – صحيح البخاري ٦٢٤٥؛ وأخرجه مسلم أيضًا ٢١٥٣.

تأمّل موقف عمر: لم يقبل الخبر – ولو من صحابيٍّ كبير – حتى ثبت. وهذه روح سورة النور ذاتها: كلّ خبرٍ يُتثبّت منه، وكلّ بيتٍ تُحفظ حرمته.

العبرة

لا ينتظر الإسلام وقوع الفتنة ثمّ يتحرّك، بل يبني الآداب من البداية: الاستئذان، وغضّ البصر، وحفظ العورات، وتيسير النكاح. والمجتمع الذي يحفظ هذه الآداب أبعد عن فتنٍ كفتنة الإفك.

رجال حديث الإفك ونساؤه

يذكر حديث الإفك أشخاصًا كثيرين لكلٍّ منهم دور. ويرتّبهم الجدول الآتي مع قبائلهم ومصادرهم. ومعرفة قبيلة كلّ واحدٍ مهمّة، لأنّ التوتّر في المسجد (الباب ١٢) كان بين الأوس والخزرج.

العَلَم	القبيلة / الصلة	الدور	المصدر
عائشة بنت أبي بكر رضى الله عنها	قريش (بنو تيم)؛ زوج النبيّ ﷺ	المرميّة بالفرية، برّأها القرآن	البخاري ٤١٤١؛ النور ٢٤: ١١–٢٦
أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه	قريش (بنو تيم)؛ والد عائشة	صبر، ثمّ عفا عن مسطح	البخاري ٤١٤١؛ النور ٢٤: ٢٢
أمّ رُومان رضى الله عنها	أمّ عائشة	هدّأت ابنتها	البخاري ٤١٤٣
صفوان بن المعطّل رضى الله عنه	بنو سُليم (ثمّ الذكواني)	كان من وراء الجيش؛ حمل عائشة إلى الركب، ثمّ قُتل في سبيل الله	البخاري ٤١٤١
عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه	قريش (بنو هاشم)	استُشير، وأشار بسؤال الجارية	البخاري ٤١٤١
أسامة بن زيد رضى الله عنهما	ابن زيد بن حارثة	استُشير، «ولا نعلم إلا خيرًا»	البخاري ٤١٤١
بَرِيرة رضى الله عنها	الخادمة	شهدت بخير عائشة	البخاري ٤١٤١ (ناقش ابن حجر اسمها)

العَلَم	القبيلة / الصلة	الدور	المصدر
زينب بنت جحش رضى الله عنها	أمّ المؤمنين؛ من بني أسد بن خزيمة؛ ابنة عمّة النبيّ ﷺ	حفظت لسانها ولو في ضرّتها	البخاري ٤١٤١
حَمْنَة بنت جحش	أخت زينب	تأثّرت انتصارًا لأختها	البخاري ٤١٤١
سعد بن معاذ رضى الله عنه	سيّد الأوس (بنو عبد الأشهل)	عرض النصرة في المسجد	البخاري ٤١٤١ (وعند ابن إسحاق: أُسيد؛ انظر الباب ٢)
سعد بن عبادة رضى الله عنه	سيّد الخزرج (بنو ساعدة)	اعترض إذ احتملته الحميّة	البخاري ٤١٤١
أُسَيد بن حُضَير رضى الله عنه	الأوس (بنو عبد الأشهل)؛ ابن عمّ سعد بن معاذ	ردّ على سعد بن عبادة	البخاري ٤١٤١
أمّ مِسْطَح	قريش؛ أمّها خالة أبي بكر	أخبرت عائشة عن غير قصد؛ وذمّت ابنها	البخاري ٤١٤١
مِسْطَح بن أُثاثة	قريش (بنو المطّلب بن عبد مناف)؛ من أهل بدر	تأثّر؛ أُقيم عليه الحدّ؛ عفا عنه أبو بكر	البخاري ٤١٤١؛ أبو داود ٤٤٧٤
حسّان بن ثابت رضى الله عنه	الخزرج (بنو النجّار)؛ شاعر رسول الله ﷺ	تأثّر؛ ثمّ مدح عائشة	البخاري ٤١٤١، ٤١٤٦
عبد الله بن أُبيّ ابن سلول	الخزرج (بنو عوف)؛ رأس المنافقين	المُبتدئ والناشر الأكبر	البخاري ٤١٤١؛ النور ٢٤: ١١

من كتب السيرة: سعد بن معاذ أم أسيد بن حُضير؟

في رواية البخاري أنّ الذي قام أوّلًا يعرض النصرة هو سعد بن معاذ، وفي رواية ابن إسحاق أنّه أُسيد بن حُضير. ويرتبط هذا الاختلاف ارتباطًا وثيقًا بمسألة تاريخ الغزوة (الباب ٢)، لأنّ سعد بن معاذ تُوفّي بعد بني قريظة. وقد ناقشه ابن حجر في فتح الباري ورجّح رواية البخاري. وكلاهما من الأوس.

المراجع: ابن حجر، فتح الباري (الحديث رقم ٤١٤١)؛ ابن هشام، السيرة النبوية.

صفوان: «ما كشفتُ من كَنَف أنثى قطّ»

وفي آخر حديث الإفك ذكرت عائشة أنّ الرجل الذي قيل فيه ما قيل، صفوان، قال: «سُبْحَانَ اللَّهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ». قالت عائشة: «ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (صحيح البخاري ٤١٤١). فصفوان الذي لُطّخ اسمه يومًا ختم حياته شهيدًا.

العبرة

شارك في هذه الحادثة صالحون، ومَن زلّت أقدامهم، ومنافق. وقد حكم القرآن والسنّة على كلّ واحدٍ بعمله، لا بقبيلته ولا بمكانته. وحتى أهل بدر قد يخطئون، وباب التوبة مفتوحٌ دائمًا.

عائشة بعد الابتلاء: معلّمة الأمّة

لم تُطفئ فرية الإفك نور عائشة رضى الله عنها، بل عاشت بعد ذلك الابتلاء قرابة نصف قرنٍ معلّمةً للأمّة، يرجع إليها كبار الصحابة، ويتعلّم منها التابعون.

حديث: الوحي ينزل وهو في لحافها

حملت أمّ سلمة رضى الله عنها إلى رسول الله ﷺ طلبًا من أزواجه، فقال: «لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا».

الدرجة: صحيح — صحيح البخاري ٣٧٧٥.

حديث: زوج نبيّكم في الدنيا والآخرة

قال عمّار بن ياسر رضى الله عنهما عن عائشة: «إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

الدرجة: صحيح — صحيح البخاري ٣٧٧٢.

حديث: الصحابة يرجعون إلى عائشة

قال أبو موسى الأشعري رضى الله عنه: «مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا».

الدرجة: حسنٌ صحيحٌ غريب عند الترمذي — جامع الترمذي ٣٨٨٣.

المجال	إسهام عائشة	المصدر
الحديث الشريف	من المكثرين من رواية الحديث (الباب ٢١)	كتب علوم الحديث

المجال	إسهام عائشة	المصدر
الفقه	مرجع الصحابة في الأحكام، ولا سيّما شؤون البيت والنساء	جامع الترمذي ٣٨٨٣
التفسير	بيان معاني الآيات، ومنه قراءة «تَلَقُونَهُ» (الباب ١٦)	صحيح البخاري ٤١٤٤
التاريخ والشعر	أثنى عروة بن الزبير على علمها بالقرآن والفرائض والحلال والحرام والشعر وأيّام العرب	كتب التراجم (الذهبي، سير أعلام النبلاء)
وفاته	رمضان سنة ٥٧ أو ٥٨هـ بالمدينة؛ ودُفنت بالبقيع	كتب التراجم؛ والتاريخ مختلفٌ فيه

العبرة

أشدّ الابتلاءات مرارةً ليس بالضرورة نهاية الطريق؛ فقد برّأ الله عائشة، فأمضت حياتها في التعليم. ومن رُمي بالباطل اليوم فليقتدِ بها: دَعِ الله يُدافع عن اسمك، وامضِ في عمل الخير.

الخطّ الزمني لحديث الإفك

تاريخ غزوة بني المصطلق مختلفٌ فيه (الباب ٢): شعبان سنة ٥هـ عند ابن سعد ورجّحه ابن حجر، أو شعبان سنة ٦هـ عند ابن إسحاق. ورُتّبت الأحداث الآتية بحسب الحديث الصحيح؛ وما لم يذكر الحديثُ مدّته أُشير إليه بأنّه من كتب السيرة.

الرقم	الحدث	المصدر
1	خروج رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق؛ وخروج سهم عائشة بالقرعة	البخاري ٤١٤١
2	الإغارة عند المريسيع؛ وهزيمة بني المصطلق	البخاري ٢٥٤١
3	عتق جويرية وزواجها؛ وإطلاق أسرى قومها	أبو داود ٣٩٣١
4	الخصام عند الماء؛ ودعوى الجاهلية	البخاري ٤٩٠٥؛ الترمذي ٣٣١٥
5	مقالة ابن أبيّ؛ وزيد بن أرقم يبلّغ؛ ونزول سورة المنافقين	البخاري ٤٩٠٠
6	طريق العودة؛ النزول ليلًا قرب المدينة؛ وضياع العِقد	البخاري ٤١٤١
7	صفوان يجد عائشة صباحًا ويوصلها إلى الركب	البخاري ٤١٤١
8	الوصول إلى المدينة؛ بدء انتشار الفرية؛ ومرض عائشة شهرًا	البخاري ٤١٤١
9	عائشة تعلم بالفرية من أمّ مسطح	البخاري ٤١٤١
10	عائشة تذهب إلى بيت أبويها بإذن رسول الله ﷺ	البخاري ٤١٤١
11	رسول الله ﷺ يستشير عليًّا وأسامة؛ ويسأل بريرة وزينب	البخاري ٤١٤١
12	الخطبة في المسجد؛ والتوتّر بين الأوس والخزرج	البخاري ٤١٤١
13	شهرٌ بلا وحي؛ وعائشة تبكي ليلتين ويومًا	البخاري ٤١٤١
14	نزول الوحي ببراءة عائشة (النور ٢٤: ١١–٢٦)	البخاري ٤١٤١
15	إقامة حدّ القذف	أبو داود ٤٤٧٤

الرقم	الحدث	المصدر
16	أبو بكر يعود إلى النفقة على مسطح	البخاري ٤١٤١؛ النور ٢٤: ٢٢

العبرة

يبيّن الخطّ الزمني أنّ الفتنة استمرّت أكثر من شهر، وأنّ رسول الله ﷺ لم يتصرّف طوال تلك المدّة بلا بيّنة؛ بل سأل واستشار وانتظر حكم الله. والصبر في طلب الحقّ أولى من العجلة في الحكم.

أسئلة شائعة عن حديث الإفك

١. لماذا تأخّر الوحي شهرًا؟

لم يذكر الحديث السبب صراحةً. وذكر العلماء — ومنهم ابن القيّم في زاد المعاد — حِكَمًا عدّة: ابتلاء المؤمنين، وكشف المنافقين، وإظهار أنّ رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، ولتأتي البراءة من السماء كاملة. وهذا رأيٌ للعلماء، لا نصّ.

٢. هل شكّ رسول الله ﷺ في عائشة؟

قال على المنبر: «فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا» (صحيح البخاري ٤١٤١). وكان بشرًا لا يعلم الغيب إلّا ما أوحي إليه، فلم يقطع بشيءٍ بلا بيّنة، وانتظر حكم الله.

٣. لماذا قالت عائشة: «لا أحمد إلا الله»؟

لمّا نزل الوحي أمرتها أمّها أن تقوم فتشكر رسول الله ﷺ، فقالت إنّها لا تحمد إلّا الله الذي أنزل براءتها (صحيح البخاري ٤١٤١). وليس ذلك قلّة أدب، بل صدقٌ في التوحيد: فالنصرة جاءت من الله وحده.

٤. على مَن أُقيم الحدّ؟

ذكرت سنن أبي داود أنّ رجلين وامرأةً أُقيم عليهم الحدّ بعد نزول الآيات (سنن أبي داود ٤٤٧٤)، وتسمّيهم روايات السيرة: مسطحًا وحسّان وحمنة. واختُلف هل جُلد ابن أُبيّ (الباب ١٧).

٥. ماذا كان من أمر صفوان بن المعطّل؟

حلف أنّه ما كشف كَنَف أنثى قطّ، وذكرت عائشة أنّه قُتل بعد ذلك في سبيل الله (صحيح البخاري ٤١٤١). ومكان استشهاده وسنته مختلفٌ فيهما في كتب التراجم.

٦. ما معنى ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ (٢٤: ٢٦)؟

نقل ابن كثير عن ابن عبّاس أنّ الخبيث من القول للخبيثين من الناس، والطيّب من القول للطيّبين. وتدلّ الآية أيضًا على أنّ الله ما كان ليجعل عائشة زوجًا لرسول الله ﷺ، أطيب الخلق، إلّا وهي طيّبة (تفسير ابن كثير ٢٤: ٢٦).

٧. هل نزلت آيات اللعان (٢٤: ٦-٩) بسبب حديث الإفك؟

لا. نزلت آيات اللعان في الزوج يرمي زوجته، وهي قصّة هلال بن أميّة (صحيح البخاري ٤٧٤٧) وقصّة عُويمر العجلاني. أمّا آيات الإفك فهي ٢٤: ١١-٢٦.

٨. لماذا تأثّر صحابةٌ صالحون كمسطح وحسّان؟

الصحابة بشرٌ يخطئون، وقد أُقيم عليهم الحدّ وتابوا، ولم تمحُ تلك الزلّة فضائلهم. وقد قال النبيّ ﷺ إنّ من أصاب ذنبًا فعوقب به في الدنيا فهو كفّارةٌ له (صحيح البخاري ١٨).

٩. ما موقف أهل السنّة ممّن يرمي عائشة اليوم؟

ذكر ابن كثير أنّ العلماء أجمعوا على أنّ من رماها بما رماها به بعد نزول هذه الآيات فهو كافر، لأنّه معاندٌ للقرآن (تفسير ابن كثير ٢٤: ٢٣). وهذا حكمٌ علميّ في تكذيب الوحي؛ أمّا تعاملنا مع الناس فيبقى بالدعوة والحكمة والأدب.

١٠. هل النهي عن القذف خاصٌّ بعائشة؟

لا. الآية ٢٤: ٢٣ عامّةٌ في كلّ المؤمنات المحصنات، وقذفهنّ من السبع الموبقات (صحيح البخاري ٢٧٦٦). وذكر ابن كثير أنّ عائشة سبب نزول الآية، وحكمها يعمّ كلّ من كان مثلها.

١١. ما الأدب في ذكر الصحابة الذين وقعوا في ذلك؟

الاحترام. فمسطحٌ من أهل بدر، وحسّان شاعرٌ نافح عن رسول الله ﷺ، وحمنة أخت أمّ المؤمنين. وقد نهت عائشة نفسها عن سبّ حسّان (الباب ١٩). فنحن نذكر زلّتهم عبرةً، لا انتقاصًا.

١٢. ماذا نفعل إن رُمينا نحن بالباطل؟

نصبر «الصبر الجميل» كما صبرت عائشة (الباب ١٣)، ولا نردّ الفرية بفرية، ونبيّن الحقّ بهدوءٍ إن احتجنا، ونَكِل النصرة إلى الله. قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (النور ٢٤: ١١).

العبرة

أثار حديث الإفك أسئلةً كثيرة، وجوابها يرجع إلى القرآن الكريم والحديث الصحيح وبيان العلماء. وبالتمييز بين النصّ ورأي العلماء نفهم هذه الحادثة بسكينةٍ وعدلٍ وأدبٍ تامٍّ مع آل بيت رسول الله ﷺ وأصحابه.

الدروس والخاتمة

كان حديث الإفك أشدّ الابتلاءات خصوصيّةً في حياة رسول الله ﷺ — ابتلاءً مسّ **بيته**. ولكن وُلدت منه آياتٌ تحفظ أعراض الأمّة إلى يوم القيامة.

العبرة	من حديث الإفك
الرحمة في النصر	عتق جويرية ومائة أهل بيت
نبذ العصبيّة	«دعوها فإنّها منتنة»
الله يدافع عن الصادق	تصديق زيد بن أرقم وعائشة
أدب مواجهة الابتلاء	جلست عائشة تنتظر، وسكت صفوان
حسن الظنّ والبيّنة	النور ٢٤: ١٢–١٣
احفظ لسانك	النور ٢٤: ١٥–١٦؛ البخاري ٦٤٧٨
الصبر الجميل	﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (١٢: ١٨)
العفو	أبو بكر ومسطح (٢٤: ٢٢)
العسر يأتي بالخير	﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (٢٤: ١١)

الإفك في حياتنا

نتلقّى كلّ يومٍ أخبارًا عن الآخرين — في المقهى، وفي المصلّى، وعلى الهاتف. وتعلّمنا هذه القصّة أن نكون مثل **أبي أيّوب** الذي أحسن الظنّ، و**زينب** التي حفظت لسانها ولو في منافستها، و**أبي بكر** الذي عفا، و**عائشة** التي صبرت متوكّلةً على الله — لا مثل الذين **تلقّوا الخبر بألسنتهم**.

وتستمرّ سلسلة «**السيرة النبوية**» إن شاء الله بـ**الحلقة ١٥** — بالأحداث التالية في مسيرة دعوة رسول الله ﷺ. والله أعلم.

المراجع

القرآن الكريم والتفسير

القرآن الكريم، بالرسم العثماني. https://quran.com/ms

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (المائدة ٥: ٦؛ يوسف ١٢: ١٨؛ النور ٢٤: ٤–٢٦؛ الحجرات ٤٩: ٦؛ المنافقون ٦٣: ١–٨). https://tafsir.app/ibn-katheer/24/11

الحديث الشريف

صحيح البخاري ٣٣٤، ٢٥٤١، ٣٧٦٨، ٣٧٧٠، ٤١٤١، ٤١٤٣، ٤١٤٤، ٤١٤٥، ٤١٤٦، ٤٧٥٣، ٤٩٠٠، ٤٩٠٥، ٦٤٧٨، ٧٣٧٠. https://sunnah.com/bukhari

صحيح مسلم، المقدّمة ٥؛ ١٧٣٠، ٢١٤٠، ٢٤٤٧، ٢٧٧٠، ٢٧٧٢، ٢٩٨٨. https://sunnah.com/muslim

جامع الترمذي ٣٣١٥؛ سنن أبي داود ٣٩٣١، ٤٤٧٤. https://sunnah.com

كتب السيرة والتاريخ

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق) — باب بني المصطلق والإفك.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، الواقدي، المغازي.

صفيّ الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم — باب بني المصطلق.

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري — حديث الإفك (رقم ٤١٤١).

العلوم

Vosoughi, S., Roy, D. & Aral, S. (2018). The spread of true and false news online. Science, 359(6380), 1146–1151. https://doi.org/10.1126/science.aap9559

ويكيبيديا، «Invasion of Banu Mustaliq». https://en.wikipedia.org/wiki/Invasion_of_Banu_Mustaliq

ويكيبيديا، «Aisha». https://en.wikipedia.org/wiki/Aisha

أحاديث ومصادر إضافية

صحيح البخاري ٤٧٥٠؛ صحيح مسلم ٢٧٧٠ (حديث الإفك، رواية أخرى). https://sunnah.com/bukhari:4750

صحيح البخاري ٢٧٦٦ (السبع الموبقات). https://sunnah.com/bukhari:2766

صحيح البخاري ٦٢٤١ (الاستئذان من أجل البصر). https://sunnah.com/bukhari:6241

صحيح البخاري ٦٢٤٥ (الاستئذان ثلاثًا). https://sunnah.com/bukhari:6245

صحيح البخاري ٣٧٧٢، ٣٧٧٥ (فضل عائشة). https://sunnah.com/bukhari:3775

جامع الترمذي ٣٨٨٣ (رجوع الصحابة إلى عائشة). https://sunnah.com/tirmidhi:3883

صحيح البخاري ٤٧٤٧ (آيات اللعان، قصّة هلال بن أميّة). https://sunnah.com/bukhari:4747

صحيح البخاري ١٨ (الحدّ في الدنيا كفّارة). https://sunnah.com/bukhari:18

تفسير ابن كثير، النور ٢٤: ٢٣ و٢٤: ٢٦. https://tafsir.app/ibn-katheer/24/23

الدعم والتبرّع

يُنشر هذا الكتاب **مجّانًا بالكامل** للأمّة الإسلامية، **ولا يجوز بيعه أبدًا.** والتبرّعات مرحّبٌ بها للمساعدة في تكاليف البحث، واستضافة الموقع quranscience.my، ونشر مزيدٍ من الكتب — لكنّها **ليست واجبة.** نسأل الله أن يتقبّل كلّ تبرّعٍ صدقةً جارية.

سورة البقرة (٢): ٢٦١

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١

المصدر: quran.com/2:261

سورة سبأ (٣٤): ٣٩

قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩

المصدر: quran.com/34:39

حديث — صحيح مسلم، رقم ٢٥٨٨

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ، حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، - وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ - عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ ».

السند: رواه الإمام مسلم: عن يحيى بن أيّوب، وقتيبة بن سعيد وعلي بن حُجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي هريرة رضى الله عنه .

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم ٢٥٨٨.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:2588

حديث – صحيح مسلم، رقم ١٦٣١

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، - يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ - وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، - هُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ - عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ».

السند: رواه الإمام مسلم: عن يحيى بن أيّوب، وقتيبة بن سعيد وعلي بن حُجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي هريرة رضى الله عنه .

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الوصيّة، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم ١٦٣١.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:1631

جزاكم الله خيرًا كثيرًا



امسح رمز QR أعلاه (DuitNow، ماليزيا) للتبرّع.

تبرع

للمتبرّعين من خارج ماليزيا: انقر زرّ «تبرّع» أو زُر paypal.me/quranscience